

AM تاريخ المقال: 2014-11-24 01:57

منحوتات نادين أبو زكي

ذكورة حجرية وأنوثة خشبية.. وكائن المستقبل

صفوان حيدر

إذا كان الوجود مطلقاً والعدم نسبياً، فالحجر المنحوت أو الخشب المنحوت بيد النحاتة نادين أبو زكي، يتشابه مع الجسم البحري أو البري الذي نحتته الطبيعة في أحضان المياه أو التراب أو الصخور أو الهواء، وأيضاً هذا ما واجهناه في تتواصل المنحوتة الإنسانية أو الطبيعية بمعزوفات الرعد والبرق والغيوم والأمطار. قرب جسر الواطي - بيروت، الذي افتتح مساء الخميس الماضي Station معرضها، في مبنى في الصالة الأولى مجسمات خشبية متأثرة بلعبة الإضاءة المتموجة والمتحركة والمتدرجة بمساعدة المهندس المصمم علاء ميناوي. صممت نادين هذه المنحوتات الخشبية في مخيلتها، قبل تنفيذها وإنجازها. أما فيلم الفيديو السينمائي الحافل بالبرق والرعد وأصوات الأمطار والذي أنجزته ميريل أبو الروس، فهو فيلم تعبيري قليل الازدحام بالصور والأحداث، تنتوع مشاهد الداكنة والمكررة بين صوت الدعسات على الرمل أو الحديد أو أكياس الماء أو صفعات الريح على الشبائيك والشرفات أو صفير الهواء، أصوات استحضرها ونفذها زيد حمدان.

في القاعة الخلفية خمس غرف، تحتوي تجارب نحتية مستقلة بذاتها عن المنحوتات الاستهلاكية. هناك الأصوات تتفاعل بحاسة اللمس والبصر.

تتمنى إدارة المعرض على الزائر أن يلج في الظلام أولاً، ثم يلمس المنحوتة ثانياً، ليتفتح الضوء كاشفاً موديل « لمنحوتة صامته وحية، تتحرك قليلاً عند لمسها، « أسرار المنحوتة. ولقد لعبت إيزا شحادة دوراً لتعبر عن هدف هذا المعرض التفاعلي بين الزائر والكائنات الخشبية والحجرية.

تتعامل نادين، أستاذة الفلسفة في الجامعة الأميركية في بيروت ورئيسة تحرير مجلة «الحسنة»، مع الطبيعة الطابعة، أي مع الجانب الفاعل في الوجود، لكنها تتعامل أيضاً، وهذا هو الأساس، عندها، مع الطبيعة المطبوعة، أي مع الجانب المنفعل بالوجود. وكلاهما، الفاعل والمنفعل، يحتويان على جوهرين منفصلين، لكنهما متصلان ضمن وحدة الموجب والسالب، ومتشابهان.

تهيمن المنحوتات الأنثوية على المنحوتات الذكورية بالعدد وبالجم. ويتحدد أكثر، تجسم منحوتات نادين الوجود الأنثوي المتألم والمنفعل بالموثرات النحتية المتداخلة، سواء بالخشب أو بالحجر، يهندسها إزميل ناحت سلس وناعم، لكنه جسور وقابض ومسيطر. تقول المنحوتات «من فضلك المسني» أي تريد أن تشاركها أحاسيسها ومشاعرها في حضورنا اللمسي والبصري التفاعلي، وننتشارك معها في تطلعاتها وأمانيتها.

تتصهر مسيرة المنحوتات الخشبية في تمثلات تجريدية تجسيمية تصل إلى ذروتها في منحوتة خشبية لرأس إنسان نصف مؤنث ونصف مذكر، نافرة حواسه الخمس في استدارات والتفافات هندسية مطواعة ومؤنسة يتجلى فيها رأس الكائن الجديد الآتي في المستقبل. هذا الكائن «السوبر مستقبلي» ليس مشوهاً بإزميل نادين، بل يحمل جمالية انسيابية مصقولة ومرهفة، لكنها متوثبة، حانية ولطيفة، يقظى ومتنبهة. أما

معزوفات الرعد والمطر والبروق والدعسات في المعرض، فتعبر عن صراع المنحوتات الأنثوية مع عالمها الداخلي والخارجي. تنطوي فيها أحاسيس الألم والحيرة من جهة، والتمرد والحنان من جهة أخرى، في خضم هذا العالم الذي تتداخل فيه المتناقضات. منحوتات وجودية أوجدها إزميل نادين بصبر هندسي. مفعم بالرؤى الحبلى بالتساؤلات المتمردة والباحثة عن أجوبة لا تنتهي ولا ترتوي. إنها فلسفة المنحوتات الأنثوية. إنه العطش النحتي الذي سقاه الإزميل والمنشار، في الخشب والحجر في أن في تجاذباتها الدائمة بين الداخل النفسي والخارج الاجتماعي والطبيعي. لكنها تبقى محاولات مرتدة ومترددة وخجولة في ابتعادها عن الأقيسة الجاهزة والمنمطة لمدارس النحت الكلاسيكية، وبلا خروج عن هندسيات النحت الصارم والملتزم بمقاييس الأبعاد الفيزيائية - الزمكانية، التي يعوزها المزيد من الجرأة. تجريدات نادين ليست ناشزة وليست بورنوغرافية عنفية منفرة، بل هادئة ومتألمة وصابرة. انه التجاذب ما بين الأنوثة الخشبية والذكورة الحجرية، أو بين الداخل والخارج، أو بين الأنا الفردية والنحن الجماعية، وهو الأعلى المندمج بالعقل الكلي في تساؤلات فرويدية أو هيغلية، ذات طبيعة نحتية جمالية. مع ذلك يحتاج السياق إلى إدخال مزيد من عناصر المفاجأة لتتجلى أكثر الفروقات والتمايزات بين منحوتة وأخرى، كي لا تتعارض مع التطلعات المتوثبة لمنحوتاتها ولا تتعارض مع الغليان الداخلي المبدع الذي تعيشه هذه النحاتة المتميزة.

صفوان حيدر